

موسيقى بلاد الرافدين

الكاتب



نورة صابر المزروعى

د. نورة صابر المزروعى

يعتبر فن الموسيقى من المهن الراقية في حضارة بلاد الرافدين، فقد عمل الموسيقيون في مناصب مهمة، منهم من عمل في المعابد لإقامة الحفلات الدينية والماراسم الجنائزية، وآخرون عملوا في القصور الملكية، والحديث عن الموسيقى يستدعي الحديث عن الكهنة الذين كانوا يؤمنون بوجود قوة كونية تملك من الأسباب ما يجعلها قادرة على تحريك مجريات هذا الكون، فكانت تجرى طقوس جماعية من أجل رضى هذه القوة الكونية.

ويرجح أهالي بلاد الرافدين بأن المصائب التي تحل بالبلاد كالأمراض والكوارث الطبيعية، إنما تحدث بسبب غضب الآلهة، وكان يجب استرضائها بكافة الوسائل المتاحة، لذا كانت تقام الصلوات الجماعية، بالدعاء والمناجاة، والتراتيل وقرأة التعاويذ، وتقديم القرابين أملاً في رضاها، لكي تنجلي الكوارث وتشفى الأمراض التي حلت في البلاد.

الكهنة بدورهم مالوا إلى وسائل العزف على الآلات الموسيقية لاسترضاء الآلهة، فكانت الموسيقى حاضرة في كل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية. ومن شدة تعظيم الفنون والموسيقى أطلقوا على إله يدعى (إيا) إله الموسيقى، حيث اعتقدوا أن الموسيقى لها قوة سحرية على العقل، مشابهة لتأثير الأدوية على صحة جسم الإنسان، وقد اعتقد كهنة المعابد بأن للموسيقى قوة علاجية ناجعة للأمراض النفسية والفسولوجية، وهذا ما عرف بالمعالجة بالموسيقى في الحضارات القديمة.

أشار الباحث سامي الموصللي في كتابه «العلاج بالموسيقى» بأن الفنون تعتبر جزءاً متأصلاً في حضارة بلاد الرافدين، فاستخدمت الموسيقى في المعابد لأغراض علاجية، كما تبين النصوص المسمارية اهتمام المعابد على نحو خاص بالموسيقى، وقد خصص كبار الكهنة مجموعة من الأفراد ذوي المهارات الفنية في العزف والغناء والتراتيل وحتى رثاء

الموتى، واشتهرت طبقة من الكهنة الموسيقيين عرفت باسم «كالا-ماخ»، وتتألف من كبار رجال المعابد، وهؤلاء اكتسبوا مكانة رفيعة عند الملوك، وبعضهم من كان مختصاً بالمآتم الملكية، فيقومون برثاء الملوك بطريقة خاصة تليق بمقام وهيبة الملك.

ومن المهم هنا، الإشارة إلى أن الرثاء قد صنف في بلاد الرافدين بوصفه يتسم بأسلوب أدبي رفيع المستوى، كما كانت المراثيات عندهم تنقسم إلى صنفين: مراثيات فردية وجماعية لها صلة بالملوك والأفراد، ومراثيات تختص برثاء المدن المدمرة في بلاد الرافدين، سواء كان الرثاء بفعل الكوارث الطبيعية والبيئية أو بفعل العوامل البشرية كالحروب والمعارك، وهناك العديد من المراثيات الأدبية التي تعد وسيلة للتنفيس عن الحزن الذي حل بالبلاد ومنها «مرثية مدينة أور.. بلاد سومر وأكد» وتشتمل على 526 سطراً وخمسة مقاطع، وبشكل عام فقد احتلت المراثيات المنغمة مكانة مهمة في بلاد الرافدين، لدورها في التذكير بالمآسي التي حلت بالملوك والمدن، حتى تظل عالقة في ذاكرة الشعوب.

Almazrouei2013gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.